@ 365 @ الذي لم يبق منهم أحدا . فليحذر هؤلاء أن يستمروا على تكذيبهم ، فيحل بهم ما أحل بالأمم المكذبين ، والقرون المهلكين . وفي هذا دليل على وجوب التثبت في الأمور ، وأنه لا ينبغي للإنسان أن يبادر بقبول شيء أو رده ، قبل أن يحيط به علما . ! 2 2 ! أي : بالقرآن وما جاء به ، ! 2 2 ! وهم الذين لا يؤمنون به على وجه الظلم ، والعناد ، والفساد ، فسيجازيهم على فسادهم بأشد العذاب . ! 2 2 ! فاستمر على دعوتك ، وليس عليك من حسابهم من شيء ، وما من حسابك عليهم من شيء ، لكل عمله . ^ (فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون) ^ ، كما قال تعالى : ! 2 ^ . ! 2 (ومنهم من يستمعون إليك أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون * ومنهم من ينظر إليك أفأنت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون * إن ا لا يظلم الناس شيئا ول كن الناس أنفسهم يظلمون) ^ يخبر تعالى عن بعض المكذبين للرسول ولما جاء به ، ^ (و) ^ أن ! 2 ! 2 إلى النبي صلى ا عليه وسلم وقت قراءته للوحي ، لا على وجه الاسترشاد ، بل على وجه التفرج والتكذيب ، وتطلب العثرات ، وهذا استماع ، غير نافع ، ولا مجد على أهله خيرا . لا جرم ، انسد عليهم باب التوفيق ، وحرموا من فائدة الاستماع ، ولهذا قال : ! 2 . ! 2 وهذا الاستفهام بمعنى النفي المتقرر ، أي : لا تسمع الصم ، الذين لا يستمعون القول ، ولو جهرت به ، وخصوصا إذا كان عقلهم معدوما . فإذا كان من المحال إسماع الأصم الذي لا يعقل للكلام ، فهؤلاء المكذبون ، كذلك ممتنع إسماعك إياهم إسماعا ينتفعون به . وأما سماع الحجة ، فقد سمعوا ما تقوم عليهم به حجة ا البالغة ، فهذا طريق عظيم ، من طرق العلم ، قد انسد عليهم ، وهو طريق المسموعات المتعلقة بالخبر . ثم ذكر انسداد الطريق الثاني ، وهو : طريق النظر فقال : ! 2 2 ! فلا يفيدهم نظرهم إليك ، ولا استراحوا لك شيئا ، فكما أنك لا تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون ، فكذلك لا تهدي هؤلاء . فإذا فسدت عقولهم ، وأسماعهم ، وأبصارهم ، التي هي الطرق الموصلة إلى العلم ومعرفة الحقائق ، فأين الطريق الموصل لهم إلى الحق ؟ ودل قوله : ! 2 2 ! الآية ، أن النظر إلى حالة النبي صلى ا عليه وسلم وهديه ، وأخلاقه ، وأعماله ، وما يدعو إليه من أعظم الأدلة على صدقه ، وصحة ما جاء به ، وأنه يكفي البصير عن غيره من الأدلة . وقوله : ! 2 2 ! فلا يزيد في سيئاتهم ، ولا ينقص من حسناتهم . ! 2 2 ! يجيئهم الحق ، فلا يقبلونه ، فيعاقبهم ا بعد ذلك بالطبع على قلوبهم ، والختم على أسماعهم وأبصارهم . ! 2 2 ! يخبر تعالى عن سرعة انقضاء الدنيا وأن ا تعالى إذا حشر الناس وجمعهم ليوم لا ريب فيه ، كأنهم ما لبثوا إلا ساعة من

نهار ، وكأنه ما مر عليهم نعيم ولا بؤس ، وهم يتعارفون بينهم ، كحالهم في الدنيا . ففي هذا اليوم ، يربح المتقون ، ويخسر الذين كذبوا بلقاء ا وما كانوا مهتدين ، إلى الصراط المستقيم ، والدين القويم ، حيث فاتهم النعيم ، واستحقوا دخول النار . ! 2 2 ! أي : لا تحزن أيها الرسول على هؤلاء المكذبين ، ولا تستعجل لهم ، فإنهم لا بد أن يصيبهم الذي نعدهم من العذاب . إما في الدنيا ، فتراه بعينك ، وتقر به نفسك . وإما في الآخرة بعد الوفاة ، فإن مرجعهم إلى ا ، وسينبئهم بما كانوا يعملون ، وأحصاه ونسوه ، وا على كل شيء شهيد ، ففيه الوعيد الشديد لهم ، والتسلية للرسول الذي كذبه قومه وعاندوه . ^ (ولكل أمة رسول فإذا جآء رسولهم قضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون * ويقولون متى ه ذا الوعد إن كنتم صادقين * قل لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعا إلا ما شآء ا لكل أمة أجل إذا جآء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون * قل أرأيتم إن أتاكم عذابه بياتا أو نهارا ماذا يستعجل منه المجرمون * أثم إذا ما وقع آمنتم به الآن وقد كنتم به تستعجلون * ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون إلا بما كنتم تكسبون) ^ يقول تعالى : ! 2 ! 2 من الأمم الماضية ! 2 2 ! يدعوهم إلى توحيد ا ودينه . ! 2 2 ! هم ! 2 2 ! بالآيات ، صدقه بعضهم ، وكذبه آخرون ، فيقضي ا بينهم بالقسط ، بنجاة المؤمنين ، وإهلاك المكذبين 2 ! 2 ! بأن يعذبوا قبل إرسال الرسول ، وبيان الحجة ، أو يعذبوا بغير جرمهم . فليحذر المكذبون لك ، من مشابهة الأمم المهلكين ، فيحل بهم ، ما حل بأولئك . ولا يستبطئوا العقوبة ويقولوا : ! 2 2 ! ، فإن هذا ظلم منهم ، حيث طلبوه من النبي صلى ا عليه وسلم ، فإنه ليس له من الأمر شيء ، وإنما عليه البلاغ والبيان للناس .